فوائد النخيل

د. ناصر بن عبد الله الرشيد

تعد نخلة البلح من أعظم الأشجار أهمية لإنسان الجزيرة العربية بوجه خاص وللمشرق العربي بوجه عام، فقد تكونت بينه وبينها روابط وثيقة منذ مئات السنين، ولم تفصم عراها ماستجد من تقنيات أدت إلي توطين أشجار ونباتات أخرى في تلك المناطق، إذ بقيت هي الشجرة الأولى بدون منازع، بل إستخدمت التقنيات الحديثة في تحسينها وتحسين إنتاجها، وكلما تقدمت العلوم زاد الإهتمام بها.

تنبع أهمية النخلة في الأزمنة الماضية ليس لأنها ـ فقط ـ مصدر الغذاء الرئيسي للإنسان، ولكن لأنها تمنحه فوائد عديدة يصعب حصرها في مقالة محدودة، بل يمكن أن يفرد لها المؤلفات، ولعل هذه المقالة تتطرق إلى بعض منها ، هادفة إلى توضيح أهميتها وتعريف أجيالنا الحاضرة بقدرة الآباء والأجداد العجيبة على الإستغلال الأمثل للموارد الطبيعية ، وعدم إهدارها فيما لا جدوى منه.

إعتمد الإنسان الجزيرة العربية ـ بعد الله ـ في معظم شؤون حياته على النخلة، فمنها مأكله ومسكنه ، ولا أظن أن شجرة على وجه البسيطة خدمت هذا الإنسان مثلما خدمته النخلة.إذ إستفاد من كل جزء من أجزائها ، وفي جميع مجالات حياته.

تزخر النخلة بإمكانات هائلة يمكن الإستفادة منها بشكل واسع ، ولا تقتصر تلك الإستفادة على جزء محدد ، بل يمكن الإستفادة من جميع أجزائها بدءاً من جذورها الضاربة في إعماق التربة إلى ذروتها السامقة في عنان السماء.

الجذور

تخرج جذور النخيل من قاعدة الجذع في مجاميع كثيفة تقدر بالمئات، فتمتد في أعماق التربة إلى مسافة تتراوح ما بين ١٢ إلى ٢١ متر أو أكثر ، وتكون الجذور أول ما تنطلق من النخلة بيضاء لينة برؤس مدببة لكي تخترق التربة بسهولة، ومن ثم تتحول إلى اللون الأحمر ، ثم إلى اللون البني الفاتح، ثم إلى اللون البني القاتم، وكلما إزداد عمر الجذر إزداد قوة ومتانة.

يتكون الجذر الواحد من نسيج ليفي مغلف بسطح أملس نسبياً. يلتف هذا النسيج على قلب الجذر الذي يتكون من قضيب دقيق، ولكنه صلب بالنسبة لما يحيط به من الأسلاك الليفية، وتنتشر عليه الجذور الدقيقة (الشعيرات الجذرية) التي تقوم بعملية الإمتصاص.

قد تكون الجذور من أقل أجزاء النخلة فائدة للإنسان، إذ أن الإستفادة منها كانت مقتصرة على جمع تلك الجذور ـ خاصة الغضة ـ أثناء حرث الأرض القريبة منها وإستخدامها كعلف للحيوانات.

الجذوع

جذع (ساق) نخيل التمر خشبي، إسطواني غير متفرع، مغطى بليف ينمو على قاعدة الجريد ليحميه من العوامل الجوية. ينمو الجذع فوق التربة ويصل إرتفاعه إلى حوالي ٢٥ متر ، وهو المحور الرئيسي للنخلة. يبدأ نمو الجذع من برعم طرفي مخروطي الشكل يحوي أوراقاً صغيرةً، في إبط كل منها برعم صغير، يختزن الجذع كمية كبيرة من النشأ تستهلكها النخلة في فصل الصيف عند تكوين الثمار الناضجة،ويمكن الإستفادة من جذوع النخيل في أمور كثيرة ، منها ما يلي:

● البناء

تستعمل جذوع النخيل كقواعد لحمل سقوف المباني والأكواخ ، كما تستخدم كعوارض لإسناد سقوفها ، وكبراويز أو إطارات للأبواب والشبابيك، وتوفيراً للجهد والمواد فإن جذوع النخل تستخدم كدرج لسطوح المباني، حيث تمال على الجدران ويعمل فيها فروض (حزوز) على سطحها العلوي فتصبح كدرجات يمكن الصعود بواسطتها إلى السطوح بسهولة ويسر. إضافة إلى ذلك يمكن تشريح الجذوع إلى شرائح سميكة فيعمل منها الأبواب لتميزها بالصلابة والمتانة ومقاومتها للعوامل البيئية، إذ تستخدم في الأبواب الخارجية للقصور والقلاع ، ويمكن فلق الجذوع إلى نصفين وتجويفها من الداخل لكي تستخدم كميازيب لتصريف السيول من سطوح المنازل.

● الزراعة

من المعلوم أن الإستفادة من جذوع النخيل لا يقتصر على المباني فقط، ولكن يمكن أن تستخدم بأغراض متعددة في الزراعة ، حيث تستخدم كأعمدة للآبار فتركب عليها أدوات إخراج الماء، مثل المحال (دولاب يركب عليه حبل رفع الماء) والغروب

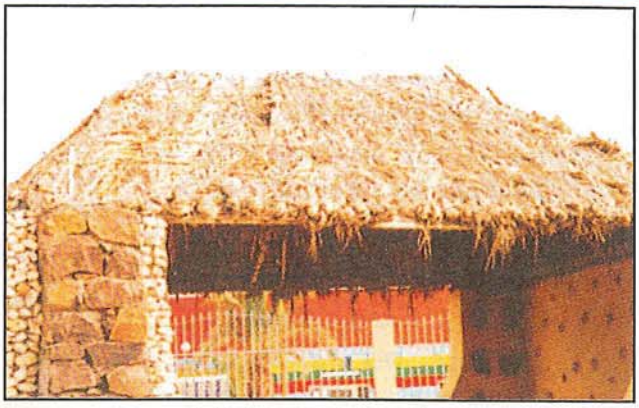

● إستخدام سعف النخيل في البناء .

(دلاء كبيرة تسحب بواسطة الحيوانات الكبيرة مثل الإبل)، كما تستخدم الجذوع كداعمات للأحواض ـ تعرف باللزا ـ التي يصب فيها الماء من الغروب، إضافة إلى أنه يمكن تشريح الجذوع وحفرها من الداخل وإستخدامها كقنوات لنقل الماء داخل المزرعة.

● الوقود

تقطع جذوع النخل إلى قطع صغيرة وتجفف، ومن ثم تستخدم كوقود في المنازل للطبخ والتدفئة عند الحاجة، وعند عدم توفر الحطب.

● إستخدامات أخرى

عندما تجف جذوع النخل وتتفتت فإنها تؤخذ وتطحن إلى مسحوق ناعم يوضع عادة في مهاد الطفل لكي يحميه من البلل عند التبول أو التلوث ببرازه، فيمثل دور حفائظ الأطفال في وقتنا الحاضر.

السعف

يمثل السعف الجزء الأخضر من النخلة، وهو الجزء الذي يقوم بعملية التمثيل الغذائي. يتكون السعف من ثلاثة أجزاء هي الجريد والخوص والكرب، وهناك إستخدامات كثيرة، سواء للسعف بشكل عام أوً لكل من الخوص والجريد والكرب كل على حدة. أما السعف بكامله فيستخدم في إقامة الجدران والسقوف والأكواخ، وكحواجز فاصلة بين البساتين، وكأسوار محيطة بالأكواخ، كما يستخدم لوقاية الفسائل المغروسة حديثاً، حيث يلف حولها لوقايتها من التقلبات الجوية. وقد يهرس السعف ليستخدم كسماد لبساتين النخل، أما السعف الأخضر فيستخدم في أعمال الزينة، وفي إزالة التربة عن الحيطان والسقوف، كما يستخدم في صناعة الأعلاف للحيوانات.

● الجريد

يطلق هذا الأسم على السعف المنزوع منه الخوص، وهي محور السعفة، ولها إستخدامات كثيرة، منها:

* **المباني:** و يستفاد من الجريد في تسقيف المنازل ، فترص فوق عوارض من الخشب، وتربط عليها بواسطة حبال من الخوص أو الليف، وكونها على هيئة جريد تعطي جمالاً متميزاً للسقوف، أفضل منها فيما لو كانت بالخوص. كما يمكن إستخدامها كقواطع أو جدران أو سقوف، وذلك بعملها على هيئة ألواح تربط مع بعضها البعض أو عن طريق تسييخها بواسطة جريد أنحف منها.

* **الأثاث:** ويستخدم الجريد في صناعة الأثاث المنزلي، مثل أسرة النوم والكراسي والمناضد ومهود الأطفال والسلال وأقفاص الطيور بأحجام مختلفة، كما تصنع منها أوعية نقل التمر عند صرام النخيل.

* **إستخدامات أخرى:** وفيها يستخدم الجريد كعصي لتوجيه الدواب وسياقة الأبل، أما الجريد الأخضر فيستخدم كعصي لضرب المذنبين من قبل السلطة، ويتميز هذا النوع من العصي بأنه يؤلم، ولكنه لا يحدث أية أضرار في جسم المعاقب. كما يستخدم الجريد في بعض البلدان الساحلية في صناعة القوارب الخالية من المسامير لأنها لا تصدأ وتتآكل نتيجة لتعرضها للماء، ويتم صناعة هيكلها من الجريد المربوط مع بعضه البعض بواسطة حبال من الخوص أو الليف.

● الخوص

ينزع الخوص من السعف ويستخدم مباشرة ـ منذ قديم الزمان ـ في أغراض وصناعات عديدة تلبي المتطلبات اليومية لكثير من المجتمعات، وفي وقتنا الحاضر أصبح إستخدام الخوص كنوع من الفنون الجميلة، حيث يُنْسَج بمقاسات وألوان مختلفة تناسب الغرض التي أعدت من أجله.

* **أنواع الخوص:** ويوجد الخوص المستعمل في صناعة الخوصيات على أشكال متعددة، ويمكن تقسيمه إلى اربعة أنواع، هي:

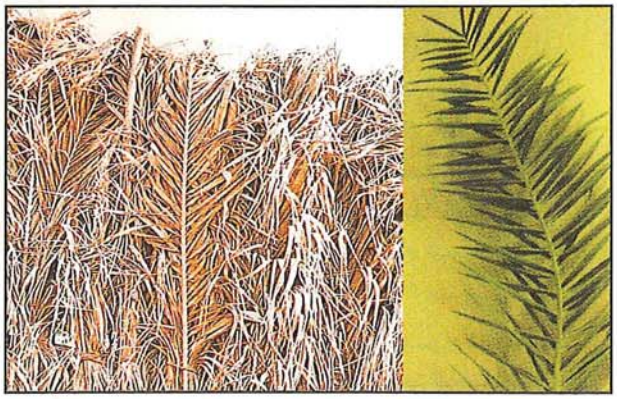

● إستخدام سعف النخيل في تشيد الأسوار .

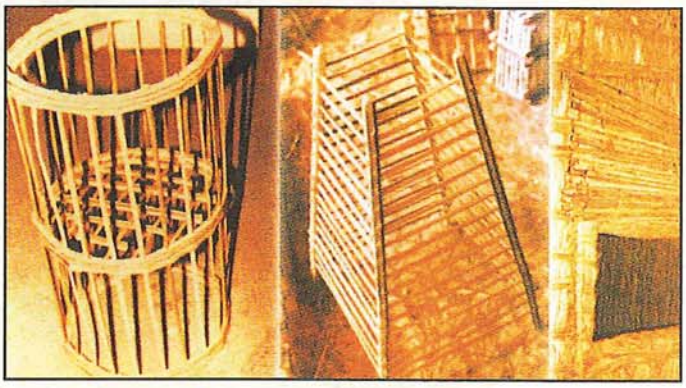

● بعض منتجات جريد النخيل .

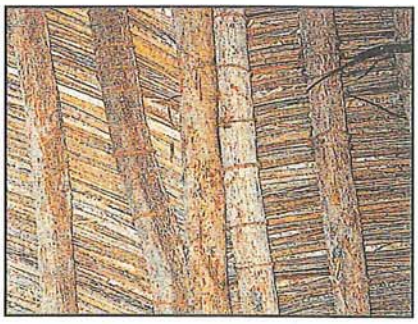

● إستخدام الجريد في تسقيف المنازل.

ـ خوص سعف القلب: ويوجد في سعف قلب النخلة، ويكون ملتصقاً ببعضه البعض بواسطة مادة شمعية ومحاط بغشاء رقيق شفاف، ويتميز بلونه الأبيض الناصع، ثم يبدأ بالإخضرار شيئاً فشيئاً حتى يصبح لونه أخضر، كما يتميز بالليونة والمتانة والقوة.

ـ خوص سعف النواد: وهو السعف الذي يلي سعف القلب ويبعد عنه قليلاً، ويتميز بلونه الأخضر إلا أن به بقية من بياض، ويأتي بعد خوص سعف القلب من حيث الليونة والقوة والمتانة.

ـ خوص سعف الخوافي: وهو الخوص الذي يختفي خلف سعف النواد، ويليها من حيث درجة الليونة والقوة، ولكنه كامل الإخضرار.

ـ خوص السعف العادي: ويأتي بعد السعف الخوافي مباشرة، ويصنع منه المسفوفات الخشنة، أو الحبال الخوصية العادية.

*** إستخدامات الخوص:** وله العديد من الإستخدامات، منها ما يلي:

ـ البناء: ويستخدم بعد نزعه من السعف بوضعه فوق الجريد عند سقف البيوت، وهذا يؤدي إلى منع تسرب الطين أو المادة المستخدمة في سقف البيوت.

ـ علف للحيوانات: ويستخدم في حالته الطرية بعد تقطيعه وسحقه كعلف للماشية لإحتوائه على العناصر الضرورية لنمو الكائن الحي من بروتينات وسكريات وأملاح.

ـ وقود: ويستخدم كوقود أو كمادة لإشعال النار خصوصاً عندما يكون جافاً فإنه يشتعل بسرعة، ولكن بالرغم من ذلك فإنه يتميز بحرارته الشديدة، مما يجعل صاغة الذهب والمعادن النفيسة في الماضي ـ وحالياً في الدول الفقيرة ـ يستخدمونه لصهرها وتشكيلها، ومن مميزات نار الخوص أنها تنطفيء بسرعة.

*** تصنيع الخوص:** ويمكن نسج الخوص على هيئة سفيف وتشكليه إلى عدد كبير من الأشكال لتفي بأغراض متعددة، مثل:

ـ صناعة الأوعية: وفيها يتم صناعة انواعاً مختلفة الأشكال والأحجام من أوعية الخوص تتراوح ما بين الزنابيل الكبيرة التي يجنى فيها التمر إلى القفف الصغيرة والسلال، إضافة إلى المناقل، وهي أوعية خاصة تستخدم لنقل الطين والرمل على ظهور الدواب، كما يصنع من الخوص الخصف (القلل) وهي أوعية تستخدم لتخزين التمور، وتكون عادة ذات أحجام وسعات مختلفة.

الجدير بالذكر أن صناعة الخوص أصبحت في وقتنا الحاضر فناً يدرس في معاهد الفنون الجملية، حيث تطورت إستخداماتها من إحتياجات الإنسان التقليدية في الأزمنة الغابرة إلى تحف ذات أشكال وألوان زاهية ونقوش جميلة، وذات أغراض متعددة تضيف إلى المنازل مسحة جمالية.

ـ صناعة الفرش: وتتمثل في صناعة الخصف والأحصرة التي تبسط على الأرض، وتوجد بأحجام وألوان مختلفة، حسب الغرض التي أعدت من أجله، فمنها ما يعد للصلاة، ومنها ما يعد للجلوس عليه، ومنها ما يعد لوضع التمر عليه عند الجداد أو صرام النخيل، كما تصنع منه أحصرة مستديرة تستخم كسفرة للأكل.

ـ صناعة المراوح: وتصنع من الخوص الأبيض الناعم وتزين بنقوش من الخوص الملون، وتكون المروحة على شكل مربع لها عصا رفيعة لتحريكها أمام الوجه أو الجسم لتبريده أثناء الحر، وقد يكون لها أشكال وأحجام مختلفة.

ـ صناعة الحبال: وتصنع من الخوص الأخضر بعد نزعه من السعف، ثم يدق دقاً خفيفاً لكي تتخلخل صلابته، ثم يفتل على هيئة حبال لها سماكات وأحجام وأطوال مختلفة. يستخدم هذا النوع من الحبال في أغراض مختلفة، وتتميز بأنها تشتد وتقصر عندما تبتل بالماء وتطول وترتخي عندما تجف.

ـ صناعة المكانس: وتصنع المكانس الجيدة من خوص صغار النخل، ويسمى بالهصير، ويتميز هذا النوع بقوته وليونته ومتانته، إذ يمكن إستخدام المكنسة المصنوعة منه لفترة طويلة دون أن تتلف.

ـ القبعات والمظلات الواقية: ويستخدم لصناعة القبعات والمظلات الواقية من أشعة الشمس والمطر أو للزينة، حيث تأخذ أشكالاً وألواناً مختلفة يتفنن فيها المصنعون ودور الأزياء العالمية لإغراء السيدات بإرتدائها.

ـ صناعة الخلأء: وهي أعواد تخليل وتنظيف الأسنان، وتصنع من الخوص بسهولة وبساطة، ولا تحتاج إلى عناء كبير،

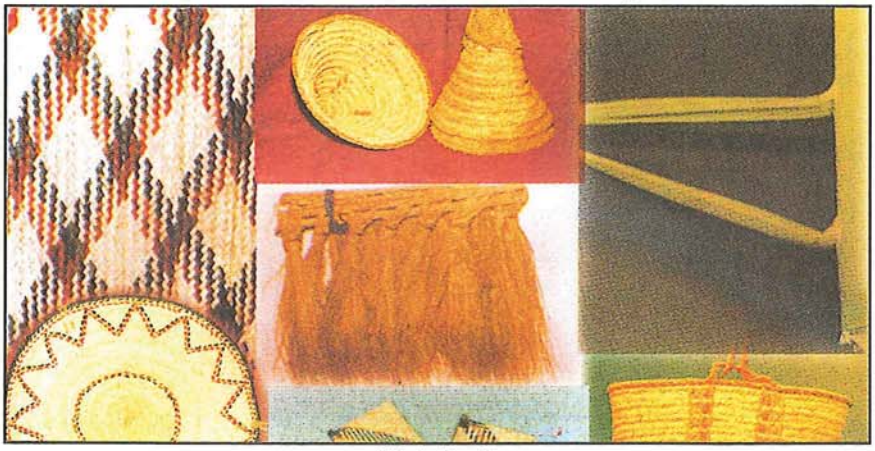

● بعض منتجات الخوص.

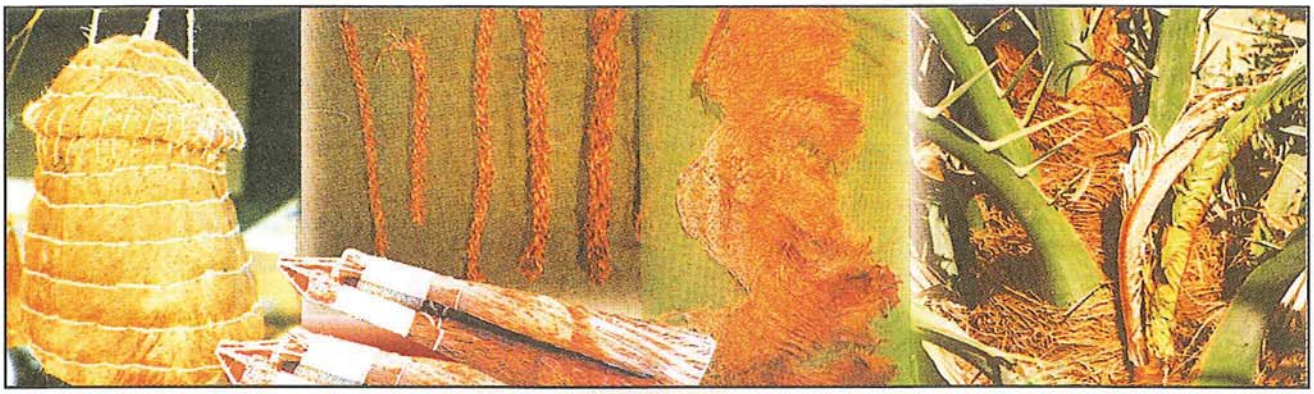

● بعض منتاجات الليف.

حيث تحتاج فقط إلى تقطيعها بالطول والعرض وبأحجام مناسبة، ومما يميزها أن سمكها مناسب للمسافات بين الأسنان، وتعد من أفضل ما استخدم في هذا المجال.

● الكـــــرب

يطلق لفظ الكرب على الجزء السفلي من سعف النخل الذي يتصل بجذع النخلة، ويأخذ شكل المثلث تقريباً، ويستفاد منه في مشاط شعر النساء، حيث يكسر إلى قطع صغيرة، ثم يدق ويطحن، فيخرج منه مسحوق على هيئة مسحوق ناعم لونه بني أو زهري، يخلط هذه المسحوق مع مساحيق وسوائل عطرية ويمشط به شعر رأس المرأة.

كذلك يستخدم الكرب في تعلم السباحة (العوم) حيث ينظم عدد منها على هيئة حزام يربط حول جسم المتعلم فيساعده على الطفو فوق سطح الماء إلى أن يتعلم السباحة، كما يستخدم كطوافات لشباك صيد السمك. ونظراً لصلابة الكرب وتميزه بشدة حرارة النار فيمكن إستخدامه كوقود.

الليـــــف

يشكل الليف غمد يحيط بجذع النخلة يعمل على وقايته من الصدمات الخارجية ومن أضرار الحيوانات، كما يخفف من وطأة الحر والبرد لتميزه بخاصية عزل جيدة، ويكون الليف بالقرب من الجمارة طرياً وأبيض مصفر.

والليف عبارة عن نسيج محكم من أسلاك دقيقة، يكون ناعماً عند نقطة إتصاله بالنخلة وخشناً عند الطرف البعيد، ويوجد الليف في أصل كربة النخلة الذي يسمى جيب الليفة، لذا فإنه عند إقتلاع الليفة فلا بد من قطعها من جيبها على جانبي الكربة.

يستفاد من الليف في العديد من الإستخدامات من أهمها ما يلي:

● صناعة الحبال والمكانس

يصنع من الليف العديد من انواع الحبال والمكانس ذات الأشكال والأحجام والإستخدامات المختلفة، حيث تتراوح ما بين الغليظة التي تستخدم في ربط السفن أثناء رسوها، أو في إخرج المياه من الآبار، إلى خيوط دقيقة لا يزيد قطرها عن عدة مليمترات مثل الدبارة، و بشكل عام لا يمكن الإستغناء عن الحبال سواءً في الحضر أو البدو.

● تصفية السوائل

يستخدم الليف لتخليص السوائل مثل القهوة واللبن والسمن من المواد العالقة بها، وتنقيها بدرجة جيدة، ولا ينتج عن إستخدامه أية أضرار صحية.

● وقاية الأوعية

يستخدم الليف كإطار واق لبعض الأوعية من الإحتكاك والمحافظة عليها عند الإستعمال، مثل الزنابيل الكبيرة، كما تكسى بها السطوح الخارجية للمناقل المصنوعة من الخوص، والتي تحمل على ظهور الدواب لحمايتها من التمزق، وإكسابها القوة والمتانة، مما يجعلها تعيش لفترة أطول.

● التنظيف

يستخدم الليف في تنظيف الأواني المنزلية مثل أواني الطبخ والشرب والأكل وغيرها، كما يستخدم في تنظيف الأجسام خصوصاً الليف الناعم، ولا شك أنه يعد من أدوات التنظيف الجيدة.

● الزراعة

يستخدم الليف في حماية مجاري المياه كحواجز منظمة لجريان الماء، حيث يعمل على تماسك التربة ووقايتها من الإنجراف، خصوصاً عندما تكون الأرض غير مستوية، كما يستخدمه مزارعي بعض المناطق في لف الطلع بعد تلقيحه لضمان عقد الثمار.

● حماية النبات

يستخدم الليف في تكميم عذوق النخل لوقايتها من الطيور والقوارض والحشرات الضارة مثل الجراد، كما يستخدم في

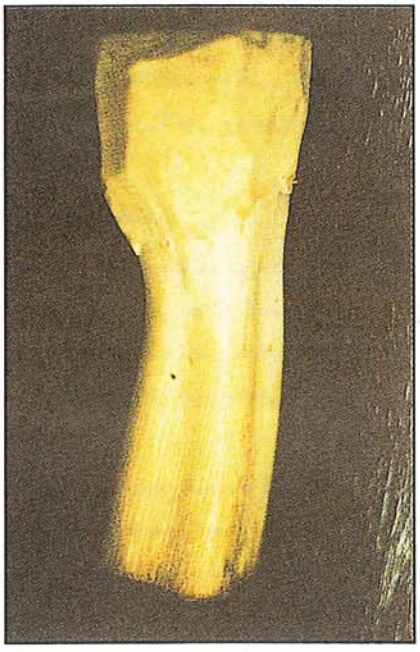

الجمار.

تظليل فسائل النخل عند غرسها لوقايتها من حرارة الشمس في الصيف ، ومن البرد في الشتاء.

● إشعال النار

يتميز الليف بسرعة إشتعاله نظراً لدقة نسيجه، لذلك يستخدم في إشعال الحطب.

الجمار

يشكل الجمار القمة النامية للنخلة، وهو عبارة عن أنسجة حديثة التكون (خلايا ميرستيمية) غضة وطرية وهشة وحلوة المذاق وخالية من الألياف، يتغير طعمها كلما إبتعدت عن القمة، وتوجد في قلب النخلة، والجمار بمكان المخ من جسم الإنسان، إذا أصابتها آفة فتلفت هلكت النخلة.

● أقسام الجمار

ينقسم جمار قلب النخلة إلى قسمين ،هما :

* **جمار القلب:** وهو قمة الساق ويعزى إليه نمو وإستطالة النخلة، وعليه يرتكز فرع النخلة من سعف وليف وطلع، وتتغذى على ما يختزنه من مواد غذائية وماء.

* **جمار الطلع:** ويمتد من الجمار الرئيسي وهو أصول العذق والكافورة التي تنمو وتتطور فيما بعد لحمل الثمار، ويكون عادة أبيض ناصع وطري.

● الإستخدامات

نظراً لطعمه اللذيذ وخلوه من الألياف فيمكن أكله مباشرة في حالة الإستغناء كلياً عن النخلة لأن إزالته تعني موتها، كما يمكن الإستفادة منه في عمل بعض المآكل اللذيذة، مثل:

* **الحميس:** وفيه يقطع الجمار إلى قطع صغيرة ويمزج مع اللحم والبصل والسمن والملح وبعض التوابل، ثم يطبخ فيعطي طعاماً لذيذاً.

* **الحلوى:** وفيه يفرم الجمار ويضاف إليه السكر، ويطبخ حتى يمتزج به السكر مكوناً الحلوى.

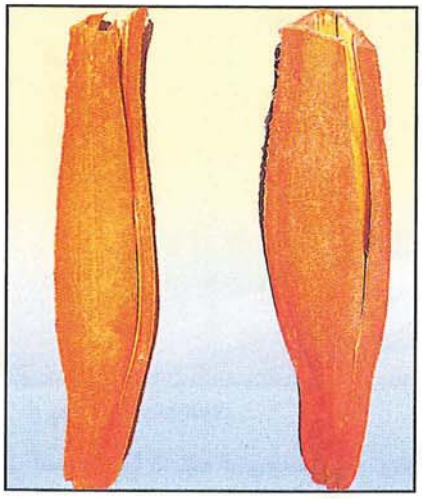

● الكافورة .

* **مخلل الجمار:** وفيه يقطع الجمار إلى قطع متوسطة الحجم (مثل قطع مخللات الخضار)، ويوضع في محلول ملحي لبضعة أيام أو أسابيع، ثم يرفع من المحلول، ويجفف قليلاً، ثم يعفر بالتوابل، ويحفظ بعد ذلك ليقدم كمخلل.

الكافورة

تشكل الكافورة وعاء شماريخ أزهار النخلة المذكرة منها والمؤنثة، وتتكون من غلاف نسيجي متماسك يكون مغلقاً حينما يخرج من النخلة، لونه أخضر وملمسه خشن من الخارج ، أما من الداخل فسطحه أملس ولونه أصفر ضارب للخضرة.

ويؤدي نمو وإستطالة شماريخ الزهور إلى إنفلاق الغلاف طولياً من منتصفه من الامام أولاً، ثم من الخلف إلى نصفين. فتخرج منها شماريخ الأزهار.

تتميز الكافورة برائحتها العطرية النفاذة وطعمها القابض عند المضغ، ومع ذلك يكون مقبولاً بسبب رائحتها الزكية.

وتستخدم الكافورة في بعض بلدان الخليج في إستخراج ماء اللقاح، وهو عبارة عن مستخلص منقوع الكافورة المقطعة، فيكتسب بعض الروائح الزكية المنعشة التي تحتويها الكافورة. يستخدم هذا المستخلص في علاج الاسهال وفي تسكين مغص الامعاء وقد يعطر به ـ في بعض الاحيان ـ ماء الشرب في فصل الصيف.

العذق

يتكون العذق الضغث (كما ورد في القرآن الكريم) من العرجون والشماريخ، والعرجون هو الجزء المتصل بالنخلة، وينتهي بالشماريخ، ويتراوح طوله ما بين ٢٥ إلى ١٠٠سم، وتنشأ منه الشماريخ، إما من نهايته، أوفي مجموعات منتظمة عليه تمتد في بعض الأصناف إلى منتصفه، وتختلف العراجين من حيث الطول واالسماكة والقساوة والليونة حسب أصناف النخيل. أما الشمروخ فوظيفته حمل الازهار والثمار، ويتميز جزؤه السفلي بأنه أملس، ثم يصبح متعرجاً تنتظم عليه الازهار.

تستعمل العذوق لعدة أغراض سواءً كانت كاملة (عراجين وشماريخ) أم عراجين لوحدها، ومن تلك الاستخدامات مثلاً: غمر العراجين بالماء لمدة يومين، ثم شقها إلى شرائح طولية، لها أحجام وسماكات مختلف، لتستخدم في نسج الاطباق الخوصية.

أما العذوق فتستخدم كمكانس ومقشات للعديد من الإستخدامات المنزلية، وفي صناعة المفروشات القشية، كما تستخدم بعد تليينها بالماء وتحويلها إلى ألياف ـ بدقها على الصخور ـ في صناعة

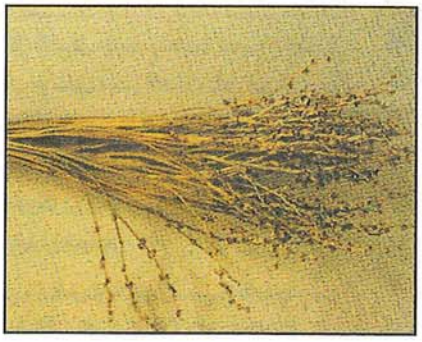

● العذق .